

الفنون البصرية ودورها في الحفاظ على الثقافة والهوية

Visual arts and their role in preserving culture and identity

د/ جمال عبد الحى

عضو هيئة تدريس - أكاديمية الفنون

dr.gamal.ali23@gmail.com

الملخص

تعد الفنون واجهة صادقة للتعرف على ثقافات المجتمعات في العالم، وما يهمننا كشعوب عربية هو الحفاظ على ثقافتنا وصون هويتنا العربية، وبخاصة في ظل الظروف الراهنة والتحديات التي تواجهنا والمتمثلة في التقدم التكنولوجي الذي يعد سلاح ذو حدين فكما يمكننا الاستفادة منه من منظور معلوماتي والتعرف على ثقافات أخرى.

كذلك أصبح يمثل خطراً على هويتنا وثقافتنا العربية - التي تمتاز بأنها ثقافة إنسانية أصيلة شاملة لمظاهر الروح والمادة وتتميز بقيمة فكرية وجمالية ذات عراقية تاريخية - ولعل وسائل التواصل الاجتماعي من أبرز مظاهر تلك التكنولوجيا وأهمها وأكثرها انتشاراً نظراً لأنها - وسائل التواصل الاجتماعي - متاحة للاستخدام لفئات مختلفة من حيث العمر والجنس والمستوى التعليمي والثقافي والاقتصادي وكذلك مستوى الوعي المعرفي والادراك القيمي.

ولعل الفنون هي المرآة التي تعكس تلك الأمور من التشويش الثقافي القادم من مصادر عدة تعبر عن تيارات واتجاهات فكرية لا تلائم وتناسب طبيعة ثقافتنا وهويتنا العربية.

للأسف الشديد يوجد تقصير ملموس من المؤسسات الثقافية والفنية في بلادنا العربية، وأيضا النخبة من المثقفين والمبدعين ويتمحور ذلك الأمر في عدم الاهتمام بالقيمة الفكرية والجمالية التي يجب أن تكون هي الهدف الأساسي لكل عمل فني، والمسئولية هنا تقع على عاتق كل من المبدع والمنتج والناقد والمتلقي ولا أعفى أحداً.

علماً بأن الحل غير شاق وليس ببعيد، بل هو في صميم منظومة حياتنا اليومية والتي تتشكل منها ثقافتنا وتعبر عن هويتنا العربية.

لذا يجب أن تكون مرجعية المضمون الفكري والجمالي لأي عمل فني مبنية على القيم الإيجابية المستخلصة من ثقافتنا العربية والمعبرة عن هويتنا.

وبخاصة مع وجود أجيال شابة تستمد معلوماتها وتبنى تكوينها المعرفي من خلال الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي بدون رقابة واعية على ما يقدم من غث، أو كل ما هو مخالف ومضاد لقيمنا الاجتماعية والتي يجب أن نتمسك بها ونحافظ عليها بل وننميها.

وإذا تأملنا تراثنا الشعبي سواء المصرى أو العربى سنجد زائراً بكل جوانب الإبداع الفني المرتبط بعاداتنا وتقاليدنا واحتفالاتنا ومناسبات حياتنا، ولذلك يجب علينا الاهتمام به وحمايته والحفاظ عليه لأنه يحمل قيم فكرية وجمالية وخصائص قومية صنعها مجتمعنا المصرى والعربى على مر الزمن والتاريخ وحينما نسعى إلى تنميته وتطويره فإننا نسعى إلى الكشف عن محاولات جديدة لإلهام أصيل يسهم في التكوين المعرفي والادراك القيمي للأجيال الشابة الحالية

وما يليها من أجيال. وعندما تفكر في كيفية الاستفادة من العناصر الفنية والإبداعية التي يضمها تراثنا الشعبي في مواجهة المخاطر الثقافية والفنية التي تجلبها التكنولوجيا وتؤثر بالسلب على ثقافتنا وهويتنا.

ونجد أن السينما هي الوسيلة الأفضل في توظيف موضوعات من التراث الشعبي بشكل يتناسب مع ظروف العصر الحالي ويتوافق مع التكوين النفسى والمزاجى للمشاهد وبخاصة الشباب لرسم المثل الأعلى للشباب، ويفضل أن يكون كل المشاركين في العملية الفنية من الأجيال الشابة التي تملك موهبة وفي حاجة إلى تأكيد ذاتها وتأكيد انتمائها لأوطانها وحماية الثقافة والهوية – كما لا نغفل أن السينما فن قائم على الإبداع التخيلى ويجذب جميع الناس مهما كانت مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إذ إنه فن مؤثر على التفكير عن طريق الصورة كوسيلة للتعبير وإرسال القيمة الفكرية والجمالية.

ثم وقع اختيارنا على تجربة فنية ناجحة تمثل دور الفنون البصرية في تدعيم القيم المجتمعية والحفاظ على الهوية من خلال الفيلم الغنائى (حسن ونعيمة) المأخوذ من الموال القصصى المعروف باسم (حسن ونعيمة) وهو من أشهر المواويل التي تمثل جانب هام من تراثنا الغنائى بصفة خاصة وتراثنا الشعبى عامة.

الكلمات المفتاحية:

الفنون البصرية - الموال القصصى – فيلم حسن ونعيمة – الأفلام الغنائية